النبوءة

عمار بن ياسر

رضي الله عنه

الفئة الباغية تقتل «عمارا» كل يوم!

« نعم آمنت بمحمد يا أبي».

هتف بها عمار لأبيه وأمه والفرح يكاد يقفز من عينيه، بعد أن جاء للتو من دار الأرقم، وتابع وهو يمشي في الحجرة متأملا:

– نعم..إنه رسول الله، حروف كلماته كنور يتساقط على قلبك فينفتح لها مسرعا، دعوته بسيطة عميقة مريحة هادئة عاقلة، مجلسه في دار الأرقم مع من آمنوا به قطعة من النعيم تسكن فيه النفس ويرتاح فيه الضمير ويضاء فيه العقل.

وظل عمار بن ياسر يحكي وأبواه يستمعان.

كان التفاهم بين عمار وأبويه كبيرا إلى الحد الذي استطاع فيه أن يقنعهما بالإسلام في جلسة واحدة، لتصبح العائلة كلها مؤمنة بالله.

لقد كان قدوم ياسر «أبي عمار» إلى مكة، خيرا له ولزوجته ولابنه..

فلقد كان أبو عمار من اليمن ثم استقر في مكة، وفيها حالف أبا حذيفة بن المغيرة، والذي زوجه من «سمية» إحدى إمائه، والتي أنجبت له فيما بعد ولده عمار.

كان اليوم الذي آمنت فيه عائلة ياسر عيدا وميلادا جديدا لها، وبداية جديدة للحياة.

وكان هواليوم ذاته الذي بدأ فيه الصراع والتحدي الرهيب بين ياسر وعائلته وقريش.

فما كاد ياسر يتردد على دار الأرقم، حتى علمت قريش بنبأ إسلامه، وما هي إلا أيام حتى تولى بعض الزبانية من قبيلة بني مخزوم أمر تعذيب ياسر وعائلته.

ولقد بلغت الوحشية بهؤلاء الزبانية إلى حد المرض الذي لا شفاء منه، فتفننوا في تعذيبهم بكل وسائل التعذيب وأفتكها، ولم يجد الرسول ﷺ الذي كان في أشد الحزن عليهم، إلا أن يدعو لهم ويبشرهم ببشارة الجنة، لعله يخفف عنهم بعضا من العذاب، فكان يقول لهم كلما مر بهم:

«صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة ».

إلا أن العذاب كان مستمرا لا ينقطع، ليستمر معه صمود أسطوري لا مثيل له من ياسر وابنه عمار وزوجته سمية، صمودا يهزم زبانية قريش بكل قوتهم وجبروتهم، حتى إنهم لم يجدوا بدا من الانتصار عليهم إلا بقتل والدي عمار.. ياسر وسمية.. لتصبح أمه أول شهيدة في الإسلام.

وتتضاعف الآلام على عمار حزنا على أبويه، ليكمل هو ملحمة التحدي وحيدا..منتظرا سيلا من العذاب الخيالي.

فلقد أعد له زبانيته الكثير...

كان يأخذه رجال أشداء كل يوم إلى صحراء مكة وقت الظهيرة، فيصلبونه على الحجارة

المستعرة، ويتركونه ساعات يتألم حتى يشوى جلد ظهره..ثم ينتظرون منه كلمة واحدة تسب محمدا أو تشكر آلهتهم أو تجعله يسقط منهارا عائدا إلى ما كان عليه.

إلا أن البطل لم يكن ليستسلم أبدا أمام هؤلاء الجبناء.

فوصل بهم الأمر إلى الكي بالنار، مما جعل الرسول ﷺ يذوب حنانا وإشفاقا عليه كلما رآه، وأخذ يدعو له بحرارة قائلا:

«يا نار كوني بردا وسلاما على عمار، كما كنت بردا وسلاما على إبراهيم».

كان عمار يصرخ صرخات مدوية من شدة الألم، بينما كانت الوحوش تقف لاهثة، تتمنى مع كل صرخة أن يتحرك لسانه لينطق ما يحبون سماعه.

إلا أن البطل ظل على ثباته.. وظل ينتصر عليهم انتصارا تلوالآخر.

ويجن جنون الرجال، ويشتد العذاب على عمار بصورة جنونية هستيرية، فيعيدوا عليه الكى ثم يغمسوه في الماء البارد حتى تكتم أنفاسه وتتسلخ جروحه وقروحه..ويظل الزبانية على ذلك حتى يغشى على عمار.

ولم يصدق الزبانية أنفسهم بعد أن سمعوا ما قاله عمار وهو يبدأ في الإفاقة من غيبوبته لا يدري ما يقول .

لقد سب عمار محمدا، وشكر آلهتهم !!

أخيرا..استسلم البطل..

أو هكذا ظن هو.. وظن زبانيته.

كان هذا هوالألم الحقيقي الذي أصاب «عمارا».

كل ما مر عليه من عذاب لم يكن ليساوي قطرة من عذاب انهياره أمام جلاديه، حتى وإن كان لا يدري ما يقول.

كان حزن عمار لا يوصف، وكان أساه أكبر من أن يتحمله.

وأخذ عمار يجر قدميه إلى رسول الله ﷺ ليخبره بما حدث، وهو ينتحب بشدة مخفيا وجهه بين كفيه..

وهنا ابتسم الرسول ﷺ بحنان وهو يربت بيده على كتف عمار قائلا له:

«يا عمار.. إن عادوا، فقل لهم مثل قولك هذا».

خف نحيب عمار وهو يرفع يديه من على وجهه، لتلتقي عينه الحزينة بعين الرسول الكريم ﷺ الذي لاحقه وهو يتلو عليه الآية الكريمة:

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

أخيرا ارتاح البطل...

لقد عفا عنه الرسول ﷺ وقدر موقفه خير تقدير، واقتنع بأن ما قاله كان بسبب ضغط هائل لم يتحمله، ولم يكن أبدا لاستكانة أواستهتار.

أما الله.. فلقد أنزل الله سكينته عليه بآيته الكريمة..

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾.

نعم.. فلقد كان قلب عمار البطل مطمئنا بالإيمان كل اطمئنان.

وعرف عمار ساعتها أنه لم يستسلم..وأنه هزم زبانيته رغم كل ما فعلوه، ليجسد هو وأبواه بطولة أسطورية حفرت في تاريخ البطولات بحروف من نور.

وعاد عمار بعزيمة قوية وروح فتية يصارع جلاديه دون أن ينالوا منه حرفا حتى وهو غائب عن الوعى، حتى انهار الزبانية واستسلموا أمام البطل، وتركوه بعد أن فقدوا الأمل في أي انتصار -ولو كان وهميا- ليحفظ ماء وجههم.

واستمر البطل مع إخوانه في دار الأرقم يتلقى آيات القرآن ليثبت على الطريق ويكمل مشوار التحدي ، إلى أن جاءت لحظة الانطلاق الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ.

الهجرة إلى المدينة.

* * *

« للناس أجر، ولعمار بن ياسر أجران ».

قالها الرسول ﷺ في قوة وسط المسلمين، وهو يحمل حجرا على كتفه ليشارك المسلمين في بناء المسجد النبوي بالمدينة.

كان المسجد هوأول أحلام المسلمين، والذي رأوه يتحقق في المدينة وهم يبنونه بسواعدهم..

كان المسجد يمثل أول شاهد على نجاحهم بعد ثلاثة عشر عاما من الصمود والتحدي في مكة.

كان المسجد يمثل فرحة حقيقية للمسلمين، وكان كل حجر يوضع في البناء، ينسيهم عشرات من الضربات التي تلقوها على أيدي قريش.

وكلما زادت المشقة..كلما زاد الفرح والحماس.

لذا.. كان عمار بن ياسر من أشد الناس حماسا في بناء المسجد، لاسيما وهو يرى الرسول ﷺ ذا الثلاثة والخمسين عاما يحمل معهم الأحجار، ويردد الأناشيد لرفع روحهم المعنوية أثناء العمل.

ويلمح على بن أبي طالب الصحابي عثمان بن مظعون وهو يزيح الغبار من على ثيابه بعد أن يحمل الأحجار، فيبتسم ويعلق على ما يفعله مازحا ببعض أبيات من الشعر، فأخذ يرفع صوته قائلا وهو يبتسم:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

ويلتقط عمار بن ياسر أبيات على التى أعجبته دون أن يعرف أن عليا يقصد بها عثمان بن مظعون، ويظن ابن مظعون أن «عمارا» يريد بها أن يجرحه أمام أصحابه، ويصبر ابن مظعون منتظرا أن يتوقف عمار عن قوله ويمر الموقف، إلا أن «عمارا» يظل مستمرا في إنشاد الأبيات، حتى اشتد غيظ عثمان بن مظعون، وعندها.. أنزل ابن مظعون الحجر الذي يحمله في عنف، ثم التقط عصا من الأرض، ليوقف «عمارا» في غضب قائلا له في حدة:

- والله يا بن سمية، لئن لم تصمت لأضربنك في هذه الجلدة بين عينك وأنفك.

ويسكت عمار كعادته دائما، هادئا كثير الصمت، إلا أن الموقف الغامض أثار تساؤله وحيرته في سبب غضب عثمان بن مظعون.

وهنا.. التفت النبي ﷺ والذي كان قريبا منهما قائلا لعثمان في غضب:

«يا عثمان.. ما لك وعمار..إن عمارا جلدة ما بين عيني وأنفي».

وما إن أنهى الرسول ﷺ كلامه، حتى تسمر الجميع، و لم يشق هدوء الموقف إلا بكاء الثلاثة..عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وعمار بن ياسر.

لن ينسى ابن ياسر ما فعله الرسول ﷺ في هذا اليوم من أجله، وهوالضعيف، أمام عثمان بن مظعون..

كما لم ينس الرسول ﷺ ما تحمله عمار وأمه سمية وأبوه ياسر في سبيل الله .

إن الإسلام لا ينسى أبناءه..

وبطل من عائلة مجاهدة كعمار بن ياسر، كان قد رفعه الله هو وأبويه إلى الجنة وهم لا يزالون على الأرض يعذبون في سبيله.

كان الرسول ﷺ يحب «عمارا» بمقدار ما تحمل وضحى هو وأبويه، فكان إذا سمع صوته وهو يقترب من منزله يقول:

«مرحبا بالطيب المقدام، ائذنوا له».

ويستمر الرسول ﷺ في دفاعه عن عمار ، ولكن هذه المرة أمام خالد بن الوليد، الذي أغضبه نتيجة سوء تفاهم وقع بينه وبين عمار، وهنا يصيح الرسول ﷺ في وجه خالد قائلا:

«من عادى عمارا عاداه الله، ومن أبغض عمارا أبغضه الله».

ويرتجف خالد بن الوليد بطل الحرب من كلام الرسول ﷺ، ويسرع إلى عمار ليعتذر له ويستسمحه، ولا يخرج من بيته إلا بعد أن اطمأن إلى رضاه.

وأمام الصحابة.. كان الرسول ﷺ يزكي إيمان عمار، ويوصيهم دائما باقتفاء أثره.. فقال فيه:

«اقتدوا بالذين من بعدي، أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار».

وعلى ما شعر به عمار بن ياسر من عزة وفخر من حديث الرسول ﷺ ودفاعه عنه، إلا أنه كان يرى هذين الموقفين دينا في رقبته..

ليس للرسول ﷺ..

وإنما للإسلام الذي رفع شابا فقيرا ضعيفا مثله إلى أعلى مراتب العزة .

فكان حقا عليه أن يكمل معه مشوار البطولة..

حتى النهاية.

* * *

حارب عمار بن ياسر في كل الغزوات، فلم يتخلف عن غزوة قط في حياة الرسول ﷺ.

ثم استكمل جهاده في عهد الخليفة أبي بكر الصديق، الذي بدأ مع كارثة الردة الخطيرة، والتي واجهها بقلب من حديد، وعزيمة صلبة لا تعرف التهاون ولا اللين.

وفي جيش كان على رأسه خالد بن الوليد، زحف عمار بن ياسر إلى اليمامة، ليرد مسيلمة الكذاب عن كذبه، في أعنف معركة شهدتها حروب الردة..

معركة اليمامة.

كان الموقف في غاية الصعوبة، وفوجئ المسلمون بقوة جيش مسيلمة وعنفه إلى الحد الذي ظن معه المسلمون هزيمتهم..

وهناك.. وفي جانب من المعركة كان يحارب فيه عمار بن ياسر، وقف عمار على صخرة ينادي بأعلى صوته ليشد من أزر المسلمين قائلا:

- «يا معشر المسلمين.. أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، هلموا إلي».

لم يكن عمار هادئا يومها كعادته، فهذا الموقف الذي يتعرض فيه الإسلام للخطر، لا يناسبه أبدا الهدوء والصمت .

ونحو صوته الهادر.. توجه المحاربون ليلتفوا حول عمار في حماسة ، وكان عبد الله بن عمر من بين هؤلاء، والذي نظر إلى عمار ليجد جزءا من أذنه قد قطع.

ولم يكن هذا ليهم عمار بن ياسر، وهوالذي تملأ ظهره علامات التعذيب من أيام مكة.

واندفع الجنود في المعركة بعدها باحثين عن الموت لا النصر، فانتصروا، وعادوا إلى المدينة فرحين بنصر الله.

وينظر عمر إلى من يعينه على حكم الكوفة..تلك الإمارة الصعبة..

ويفند عمر بن الخطاب الشخصيات بين يديه ويزنها بمعاييره الخاصة، كما تعود دائما عند اختياره لولاة الإمارات في الدولة الإسلامية التي بدأت تترامى أطرافها في عهده.

ويفكر عمر طويلا ليقع اختياره أخيرا على رجل فقير من أسرة بسيطة اسمه عمار بن ياسر.

ويرسل الخليفة عمر بن الخطاب عمار بن ياسر إلى الكوفة أميرا، ومعه عبد الله بن مسعود مسئولا عن بيت المال، ويكتب إلى أهلها كتابا يبشرهم فيها برجلين يضع عمر فيهما كل ثقته قائلا فيه:

«إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا.. وابن مسعود معلما ووزيرا، وإنهما من النجباء، من أصحاب محمد ﷺ، ومن أهل بدر».

وكان زهد عمار حديث الناس في الكوفة، حتى يقول (أبوالهديل) أحد معاصريه عنه في ذلك:

- رأيت عمار بن ياسر وهوأمير الكوفة يشتري من قثائها، ثم يربطها بحبل ويحملها فوق ظهره، ويمضي بها إلى داره !!

وكان متواضعا إلى الدرجة التى جعلت بعض العامة يطمعون فيه، حتى قال له أحدهم - وهوأمير الكوفة في حوار بينهما - ساخرا من أذنه المصابة في موقعة اليمامة:

- يا أجدع الأذن.

ولم يفكر عمار وهو بيده سلطة البلاد في أن يعاقب الرجل أو يقاضيه أو حتى يلومه!

كل ما فعله أنه رد عليه بهدوء عجيب قائلا:

- خير أذني سببت.. لقد أصيبت في سبيل الله !!

إلا أن سياسة عمار بن ياسر في الحكم، وإخلاصه الشديد في ولايته على الكوفة، جعلت الطامعين في الدنيا يضيقون بتلك الطريقة، ووصل الأمر بهم إلى أن كادوا يتآمرون عليه.

ذلك التآمر الذي كان يخشاه عمر بن الخطاب على دولته، وظلت الثعابين في جحورها تحاول أن تخرج فلا تستطيع طالما وجد عمر، إلى أن جاءت اللحظة التي خرجت فيها الثعابين من جحورها تنفث سمومها في كل مكان..

فلقد قتل عمر بن الخطاب.

ويجيء بعده الخليفة عثمان بن عفان والذي لم يأخذ حيطته الكاملة للأمر، إلى أن يقتل عثمان، وينجح المتآمرون في شق صف الصحابة إلى فريقين..

فريق مع علي بن أبي طالب، وآخر مع معاوية بن أبي سفيان.

إلا أن كلا الفريقين كان ينظر إلى شخص واحد بترقب كبير، تنبأ الرسول ﷺ له يوما بأن الفئة الظالمة هي التي ستقتله.

كان الجميع في فتنة، لا يعرف إلى أي الفريقين ينحاز، وتاهت الحقيقة إلى أن أتعبت الرؤوس وأجهدت القلوب..

إلا أن الجميع كان يعرف أن حل اللغز الكبير، يكمن في مقتل شخص واحد فقط..

عمار بن ياسر.

* * *

«ويح ابن سمية.. تقتله الفئة الباغية ».

قالها الرسول ﷺ وهو ينفض الغبار بحنان بالغ من على رأس عمار بن ياسر، من أثر الحجارة التي كان يجتهد في حملها في بناء المسجد النبوي في المدينة.

كان الرسول ﷺ يقول الجملة وهو ينظر في عينى عمار بن ياسر وكأنه يغوص فيهما، وكان يفهم الجميع - الذين سمعوا ما قاله الرسول جيدا- أنها إحدى نبوءات الرسول ﷺ في الزمن القادم..

بعدها.. يذهب عمار بعيدا في ركن من أركان المسجد، ليعمل تحت جدار..

وفجأة.. ينهار عليه الجدار، ويجري عليه أصحابه في خوف وهلع، وينبئ أحدهم الرسول ﷺ بأن عمارا قد قتل.

إلا أن الرسول ﷺ ينظر إليه بنفس النظرة العميقة، قائلا في هدوء وثقة:

« ما مات عمار.. تقتله الفئة الباغية».

وبات اللغز معلقا..لا أحد يعرف تفسيره..

إلا أن ما تمسك به عمار، هوأن يحرك شفتيه بين حين وآخر قائلا في ضراعة:

« عائذ بالله من فتنة...عائذ بالله من فتنة..».

وجاءت الفتنة..

والآن.. تدوي الجملة في أذن عمار، ويسمع صداها كل الصحابة..

الآن بدأ اللغز ينكشف..

فتنة كبرى تحدث بعد مقتل عثمان بن عفان، ويبايع المسلمون على بن أبي طالب خليفة بعد عثمان، إلا معاوية بن أبي سفيان الذي يرفض التنازل عن الشام لأمر علي.

ويصطدم الطرفان..

وينقسم الصحابة إلى فريقين..

فريق يؤيد علي بن أبي طالب، وفريق يرى معاوية على حق..

بينما أصاب الهم والغم فريقا ثالثا، ليقف على الحياد مفضلا الابتعاد عن الاشتراك في حرب سيقتل فيها أصحابه وأصحاب رسول الله ﷺ.

ولم يكن عمار بن ياسر يصدق ما يحدث أمامه..

لكنه حدث.. ولابد أن يتعامل معه..

وقاده عقله وتفكيره واقتناعه أن يؤيد عليا وينضم إلى جيشه.

ومنذ تلك اللحظة بدأ الجميع يترقب..

ويتراجع الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله عن الاشتراك في موقعة الجمل بعد رؤيتهما لعمار ابن ياسر في جيش علي بن أبي طالب ، بعد أن شعرا أنهما ضمن الفئة الباغية.

كانت جملة الرسول ﷺ كفيلة بذلك..

«ويح ابن سمية.. تقتله الفئة الباغية ».

إلا أن الصراع يستمر بين جيش على وجيش معاوية، والذي كان يشكل معظمه مسلمون حديثوالإسلام، انبهروا بفتوحات الإسلام وقوته.

وتقع موقعة صفين..

وعندها كان عمار بن ياسر قد وصل إلى اقتناع كامل لا شك فيه بخطأ معاوية وجيشه..

فوقف عمار بن ياسر، والذي كان بلغ من العمر ثلاثة وتسعين عاما، قبل أن تبدأ المعركة، حاملا سيفه وهو ينادي في الجنود بكل ما يملك من حماسة وقوة قائلا:

«أيها الناس:

سيروا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يثأرون لعثمان، ووالله ما قصدهم الأخذ بثأره، ولكنهم ذاقوا الدنيا واستمرؤوها، وعلموا أن الحق يحول بينهم وبين ما يتمرغون فيه من شهواتهم ودنياهم..

وما كان لهؤلاء سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة المسلمين لهم، ولا الولاية عليهم، ولا عرفت قلوبهم من خشية الله ما يحملهم على اتباع الحق...

وإنهم ليخادعون الناس بزعمهم أنهم يثأرون لدم عثمان، وما يريدون إلا أن يكونوا جبابرة وملوكا؟».

ثم أخذ الراية بيده، ورفعها فوق الرؤوس عالية خافقة، وصاح في الناس قائلا:

- والذي نفسي بيده.. لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ وهاأنذا أقاتل بها اليوم..

والذي نفسي بيده. لو هزمونا حتى يبلغوا «سعفات هجر»[1] ، لعلمت أننا على الحق وأنهم على الباطل.

ثم اندفع كالهدير..واندفع المسلمون وراءه وهو يردد:

---

(١) اسم مكان .

- اليوم ألقى الأحبة محمدا وصحبه.

إنها النبوءة التي يؤمن بها عمار جيدا..

قالها عمار بصدق بالغ، صدقا دفع الجنود لأن يتبعوه في المعركة كلما اتجه في ناحية يمينا أو يسارا، وكأنه علم لهم.

كان حماسه الشديد ويقينه بأن هذه المعركة هي آخر معاركه في الوجود، يدفعه إلى الحرب بشراسة أجهدت جيش معاوية كثيرا.

ورغم ذلك.. كانت النبوءة نفسها تجعل معاوية يأمر الجيش بأن يتحاشوا قتال عمار بن ياسر، حتى لا يظن الناس أن فريقه هوالفئة الباغية.

إلا أن شراسة عمار في القتال فاقت كل حد وكل تصور، جعلت الجنود غير مقتنعين أبدا أن الرجل الذي يقاتلهم شيخ يحمل على كاهله ثلاثة وتسعين عاما.

إنه شوق عمار إلى الجنة الذي طال كثيرا..

شوق تحدث عنه الرسول ﷺ لعمار منذ زمن قائلا:

«اشتاقت الجنة لعمار».

انتظر عمار كثيرا حتى جاء هذا اليوم.

ولم يجد الجنود بدا من أن يتجهوا إلى عمار بن ياسر، حتى تمكنوا منه وقتلوه.

كان مقتل عمار هوالحدث الذي يترقبه الجميع..

الآن عرف الجميع من هي الفئة الباغية..

واضطرب معاوية كثيرا لما حدث، بعد أن ذاع الخبر بين الناس، وبدأ الشك يتلاعب بجنود معاوية أنفسهم، وهم بعضهم بالتمرد والانضمام لعلي..

إلا أن معاوية قبل أن يحدث ذلك، خرج يذيع بين الناس أن نبوءة الرسول ﷺ حق لا شك فيها، وأن من قتل «عمارا» هم فعلا الفئة الباغية، ولكن من هي الفئة الباغية؟!

وصاح معاوية في الناس ليقول:

« إنما قتله الذين خرجوا به من داره، وجاؤوا به إلى القتال!!».

واستطاع معاوية بدهائه وشدته، أن يقنع الكثير بتفسيره، إلى أن يكمل سير المعركة إلى وقت معلوم.

مات عمار.. لينكشف اللغز أخيرا.

مات عمار ليحمله علي بن أبي طالب إلى حيث يصلي عليه المسلمون، ثم دفنه في ثيابه المخضبة بدمائه الذكية الطاهرة.

مات عمار؛ لأنه اشتاق إلى الجنة كما اشتاقت إليه.

مات عمار؛ لأن ما حدث له كان يكفي..

يكفي جدا..

وكان الله رحيما به كثيرا، بأن لا يريه ما حدث من بعده.

مات عمار..لأنه كما اشتاق إلى الجنة، فقد اشتاق كثيرا كثيرا..

إلى أمه سمية..

وأبيه ياسر.

هنيئا يا عمار..

هنيئا..آل ياسر.. فلقد كان موعدكم الجنة.

* * *

دروس و تحليل

١- عندما يسود التفاهم بين الآباء والأبناء، يصبح الحوار بناء وتمتد جسور التفاهم بينهم، وتنتقل الأفكار بسرعة (عمار بن ياسر ينجح في إقناع أبيه وأمه بالإسلام).

المشكلة الرئيسية بين الآباء والأبناء أنهما من جيلين مختلفين، وكل طرف مصر أن يفكر بطريقته دون اعتبار للطرف الآخر، وكل طرف يريد أن يكسب كل بنود التفاوض دون أي تنازل يشعر الطرف الآخر باحترام رأيه وعقله وخبراته ورغباته، وتنتهى المسألة بالتسليم بأن الطرفين متناقضان، وأنه كلما مرت الأيام سيزداد التباعد بين الطرفين وتقل مساحة الحوار وتزيد المشكلات.

لابد من إيجاد مساحة مشتركة بين الطرفين، ولابد أن يجتهد كل من الطرفين في إتاحة فرصة لنفسه لأن يفكر بمنطق الآخر قليلا، وأن يكون مستعدا لمساحة من التنازل ومساحة من التفاوض ومساحة من الإصرار.

أما وأن تكون مساحة الحوار كلها مساحة إصرار، فهذا معناه أن يتحول الحوار إلى صراع يؤدي إلى أن ينعزل كل طرف عن الآخر وجدانيا، بعد أن فقد كل طرف الأمل في أن يتواصل مع الآخر، وهنا تصبح المشكلة كبيرة، فالآباء لا يستطيعون أن ينقلوا خبراتهم للأبناء بسهولة، والأبناء لن يصارحوا الآباء بمشكلاتهم وأفكارهم وطموحاتهم وآمالهم وأخطائهم، وتفقد الأسرة التواصل مع نفسها، وينعزل كل فرد داخل نفسه، ليطلق أفكاره وأحلامه خارج جدران أسرته.

لابد من الحوار والتفاهم والتواصل بين الآباء والأبناء، وإلا.. فلنتوقع المشكلات.

٢- الجنة.. وعد كاف لكى يتحمل أي إنسان كل مشاق وصعاب الحياة (الرسول ﷺ يمر على عائلة عمار وهم يعذبون، فيعدهم بالجنة).

رغم حزن الرسول ﷺ وتألمه الشديد من التعذيب الوحشى الذي كان يتعرض له عمار وأبوه ياسر وأمه سمية، إلا أنه لم يملك إلا أن يعدهم بالجنة «صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

هذه الكلمة هى الكلمة السحرية التى تجعل كل إنسان سواء كان أبا أوأما أو طالبا أو موظفا.....إلخ ، يتحمل ضغوط الحياة ومصاعبها، ويصبر على ما يتحمله من مشاق.

فهى الكلمة التى تجعل المظلوم يحتسب عند الله ما وقع عليه من ظلم، فالجنة ستعوضه وتنسيه، وهى الكلمة التى تجعل المجتهد الذي لم يصيب، أوالذي أصاب ولم يأخذ أجره في الدنيا، ينتظر أجره في الآخرة، وهي الكلمة التي تجعل المصاعب تهون؛ لأن وعد النعيم في انتظار الصالحين.

ومهما طال الطريق وبلغ الضيق من الإنسان مبلغه، فليجلس على أريكته قليلا ليتذكر الجنة، ويحلم بها ويدعوالله أن يكون من أهلها، عندها ستهون كل صعاب الحياة عليه، ويتدفق الأمل في شرايينه من جديد.

فلنعمل ونتحمل الصعاب ونحن نحلم ونحلم بوعد الله.

والله لا يخلف وعده.

٣- من يحمل المبادئ بصدق يجهد جسده في سبيل تحقيقها، وهو على استعداد لأن يتحمل ألم الجسد، لكنه ليس على استعداد لأن يتحمل هزيمة الفكرة (عمار بن ياسر يبكي بكاء شديدا لأنه سب الرسول ﷺ وشكر آلهة الكفر وهو في غير وعيه).

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

لا يمكن أن يعتنق الإنسان مبدأ أو فكرة دون أن يبذل في سبيل تحقيق فكرته مشقة جسدية، وكلما كانت الفكرة قوية وسامية، كلما كان جهد الجسد أكبر وأكبر.

وهذا الشخص لا يهمه تعب جسده، بل يكاد يتمتع بهذه المشقة التى يعلم أنها الوسيلة المنطقية لبلوغ هدفه وتحقيق أفكاره، حتى إذا أصابه المرض، وربما تتقدم حالته الصحية إذا استطاع أن يحقق إنجازا جديدا لفكرته، أو نجح في نشرها بصورة أكبر ، وقد يصيبه الوهن والهزال إذا ما شعر بالفشل أوالهزيمة.

هذه النفوس لا تفرح كفرحنا ولا تحزن كحزننا، فهؤلاء الناس لهم معاييرهم الخاصة في الفرح والحزن والتعب والراحة.. كما أن لهم قانونهم العمري الخاص بهم، فربما تجد أحدهم شابا في الثمانين، كما من الممكن أن تجد من بين العجائز من هو في الثلاثين من عمره!

إن سمو النفس وحمل المبادئ والسعى من أجل الإصلاح والعيش للغير أكثر من العيش للنفس، يغير المشاعر، ويجعل الإنسان يعيش في حياة أخرى.. لا يفهمها إلا أصحابها.

٤- تقدير الله للمصلحين والمجتهدين والمجاهدين مستمر عبر الزمن، ولكن بصور أخرى (نزول آية من القرآن لتشد من أزر عمار بن ياسر وتصحح موقفه).

في عهد الرسول ﷺ كان الوحي ينزل بآيات تشد من أزر المجاهدين، وتمدهم بدفعة معنوية كافية لإكمال الطريق.

وغالبا ما يصل المصلحون أوالذين يحاولون أن يسيروا في الطريق الصحيح في مرحلة من مراحل الطريق، إلى الاقتناع بأنهم فشلوا أوانهزموا أوأنهم قد أخطؤوا التقدير، وأنهم لا يمكنهم أن يستمروا في طريقهم أكثر من ذلك، وعندما يكون الإنسان صادقا، سيشعر بأن الله يشد من أزره بصورة أو بأخرى، إما بموقف يحدث له أو بحديث يسمعه يشعر معه أن هناك رسالة من الله إليه، أو ظهور بادرة نجاح.

إن الله لا يترك المجتهدين المثابرين والمصلحين الذين يريدون أن يكملوا رسالة الأنبياء.. سيقف معهم حتما، وستبلغهم الرسائل في الوقت المناسب.

٥- الإسلام يقدر أبناءه المخلصين ويدافع عنهم ويحافظ على كرامتهم (الرسول ﷺ يدافع عن عمار بن ياسر بعد أن أهانه عثمان بن مظعون).

يعطى تاريخ السيرة دروسا مستمرة في الانتماء، بدفاع الإسلام عن أبنائه المجاهدين والمخلصين، فلا مجال للالتفات - ولو للحظة - للحسب أوالنسب أوالقرابة أوالمال أوالنفوذ...

لذا.. كان طبيعيا أن يظهر المئات من الأبطال عبر تاريخ الإسلام العريض، بعد أن هاجر الصحابة من بلادهم ليستقروا في المدينة في بطولة جماعية نادرة لم يعرف التاريخ مثلها، ثم يعظم الإسلام جهدهم ويحترم قدراتهم ومواهبهم وإخلاصهم، حتى بعد وفاة الرسول ﷺ.

إنه الانتماء الذي يشعر المواطن بأن المكان مكانه وأن المدرسة مدرسته والمنزل منزله والجامعة جامعته والوطن وطنه، وطن عادل يحاسب الناس على أساس الجهد والكفاءة، لا على أساس السلطة والنفوذ.

وعندما يتحقق الانتماء في مجتمع يرقى ويتقدم، وعندما يصبح الانتماء مجرد شعارات، سيترك الناس وطنهم وهم يعيشون فيه، بعد أن يتيقنوا أن المكان لم يعد لهم.

عندما يتولى المصلح مسئولية، لابد أن يدرك بأن هناك من يستفيد من الفساد ويحميه (البعض من الكوفة تضايقوا من أسلوب عمار في الزهد وطريقته في الحكم).

بالتأكيد سيفرح العوام بقدوم المصلح - رجلا كان أوامرأة - وتوليه المسئولية، إلا أن المفترض أيضا أن هناك فئة ستحزن لقدوم هذا المصلح، هذه الفئة هى التى كانت تستفيد من الفساد وترعاه، وبالتالى فهى ترى الإصلاح يشكل خطورة على مصالحها، فتبدأ في وضع الخطط لإزاحة هذا المصلح من الطريق بأي ثمن.

والرجل الشريف ذوالمبادئ الذي يريد أن يخدم الناس، لابد أن يضع هذا في اعتباره حتى يأخذ حذره، وأن يكون متيقظا لمن يريد ألا يصل الخير إلى الناس، ولابد أن يساعده كل من حوله بكل طاقتهم في الوقوف بجانبه لاستكمال الطريق.

هناك الكثير من الناس قادرون على الإصلاح، ولكن هناك الكثيرون أيضا الذين يرون أن حياة هؤلاء.. موت لهم.

٦- كانت نهاية عمار تكريما له، بعد أن ظل الجميع يترقبه لمعرفة الحق (الرسول ﷺ يقرر أن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية).

نعرف القاعدة التى تقول..

(يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال).

بمعنى أن تصرف الشخص وسلوكه هوالذي يحكم عليه، وليس العكس.

إلا أن حالة عمار بن ياسر كانت استثناء لهذه القاعدة.. فلقد كان الحق في الحرب بين علي ومعاوية، يعرف بعمار بن ياسر.

فقد كان حديث الرسول ﷺ: « تقتله الفئة الباغية »، دافعا لترقب الجميع لمقتل عمار، حتى يستقر الناس على الصواب.

إنه شرف - وأي شرف - لعمار بن ياسر المجاهد الذي تحمل عذابا خرافيا، وشرف لأبويه على ما لهم من بساطة وفقر، أن جعل الله ابن هذه الأسرة، دليلا على الحق في أكبر فتنة عصفت بالأمة في التاريخ الإسلامي.